اليابان إزاء الصين

لليوزباشي حسين ذوالفقار صبري

هناك فى الشرق الأقصى منذ أكثر من عام ، هبّت فجأة أعاصير الحرب تجتاح الدول عاصفة بالقوانين ، لا تعرف لتلك حرمة ولا تقيم لهذه حساباً ، ثم خبت نارها فجأة كما قامت ، وصفت سماؤها وشفّت إلا عن بضعة التحامات هنا وهناك ، ولكن تيارها العميق ، البعيد عن الأنظار ظل قوياً مستمراً عنيفاً تحت السطح الراكد قبل الزوبعة ، المتلاطم أثناءها ، ثم المختلج بعدها .

هناك فى مجاهل الصين منذ أكثر من خمس سنين ابتثق ذلك التيار ، الجارف الآن ، مترقرقاً فى ذلك الحين ، ولم يزد على أن يكون مشاغبة تافهة بالقرب من بيتنج « بكين قديماً » ، ولكنها كانت مشاغبة توارت خلفها مطامع اليابان ، فانتهزتها فرصة للاقدام والتنفيذ ، ولكن تنفيذ ما ذا ؟ إستعمار الصين ؟ نعم ولكن ... أين كانت خطتها المحكمة التدبير ... ؟ أين كانت ، فإن المراقبين لم يروا منها إلا ارتجالاً إثر ارتجال ، ولم تحصد هى من أعمالها إلا توريطاً إثر توريط ؟

« إذا أردنا السيطرة العالمية ، وجب علينا أول الأمر إخضاع الصين ! » ، تلك كانت عقيدة الجيش اليابانى ، وهو كما لا يخفى أداة الحكم فى تلك البلاد . وإخضاع الصين عملية شاقة مرهقة ، عملية تستنزف أعنف مجهود ، وتستنفد أرواح ملايين من الجنود ، وتتطلب فوق هذا وذاك وقتاً طويلاً تكون اليابان خلاله متورطة فى مجاهل سحيقة فى حين تكون روسيا متربصة عن يمينها ، وبريطانيا رابضة عن يسارها ، وأسطول أمريكا جاثم على مؤخرتها ؛ إذ لم يكن هناك بد لإخضاع الصين من التوغل فى أرضها الوعرة الموحشة حتى تصل الجيوش إلى معبر توانج كوان عند منحنى النهر الأصفر ، وهو الذى يعد بحق مفتاح الصين اللازم لكل غاز منتصر ، وبدونه يستحيل الانتقال بالجيوش الجرارة أو الإمدادات الوفيرة إلى قلب البلاد ، وهو فى الوقت نفسه يمهد الطريق الأسهل إلى ولاية ستشوان الخصبة الغنية (حيث توجد العاصمة الآن) ، وهو أيضاً يهدد مرتفعات شانسى المشرفة على منشوكو والمغول الداخلية وسهول الصين الشمالية ! فهو كما ترى معبر به مضايق الصين إلا أنه معرّض

ريحانها ، لتنهلها الريح بعبيرها ورياها ، وتلثمها بمتعها وجناها ؛ كالسلوق يعدو مسرعاً ويطوى الأرض لاهثاً ليروّى ظمأه ، ويمسك رمقه !

* * *

فاطو العمر أيها الزهر المخضب ، ومت بفتنتك بين الرياض وجداً وهوى ! فقد كتب الموت على الأزهار التى تذوب صبابة وهياماً ، لتنفث زفراتها أريجاً وعبيراً لمن جافاه نعيم الصبا ولم يهتد لضوء الهوى .

* * *

ليلى ؛ أواه ! حسبنا أن نموت كهذه الأزهار الولهة ، لنريق دماء صبوتنا عطراً متيماً ، فتسكر الريح بخمر قبلاتنا ، وتبوح الأزهار بسر غرامنا !

* * *

أجل يا حبيبتى ! هذا هو الحب العاطر ينشر أريجه فى الأودية والحقول ، ويلهم وحيه الصادق الأفهام والعقول ، ويرويه للكون فى آيتيه الليل والنهار ، هوى عذريا ، وحباً قدسياً ، فيؤمن بالحب بعد جحوده ، ويصحو على صوت مؤذنه بعد همود

* * *

هنالك ، يوحى إلهامه ، ويهمس تراتيله فى أذن الطبيعة الصماء ، فتشدو الريح فى يوم عرسنا مرتلة أناشيد غرامنا ، وترقص أغانى العمر على الشفاه ، مغردة أغاريد الهوى على الثغور ، شادية ألحان القبل ، ساجعة أنغام الغزل .

(المنصورة) **عبد العزيز العميرى**

مهدّد إنْ لم يحمه صاحبه باحتلال وادي نهر هان الملتف جنوبه . إذن على اليابان أن تحتل هذه المعاقل الثلاثة النائية : ممر توانج كوان ، ومرتفعات شانسي ، ووادي نهر هان ، قبل أن تأمل بسط سيطرتها على أبناء « الأرض الطيبة » ، وقد أحجمت ... فهي تعلم أن الدول الثلاث المحيطة بها لا شك مقدمة على وقفها عند حدها إنْ هي تجاوزته ؛ ولكن مطامع اليابان كانت متأصلة في نفسها ، مُلحّة عليها ، مكبوتة متحفزة ، مخبوءة متربصة ، فهي إذن لا مراء مندفعة إلى عالم الوجود ، إن عاجلاً أو آجلاً ، كماء تفجر من ينبوع جياش ، فينقلب إلى سيل متدافع أرعن لا حاكم له ولا ضابط . لذا استقر رأي ولاة الأمور على تلافي تلك العاقبة الهوجاء بتفريج الحال على دفعات خلال منفس صغير أدّى بهم إلى سلوك مسلك عجيب ، بريء المظهر ، خبيث الطوية ، مسلك المتحرش بالقوم الآمنين حتى يستفزهم ، الغاضب لإهانة وهمية لم تلحقه ، المتوعد بالويل حتى يسترضى فيتأفف ، ثم المقدم على اغتصاب تعويض ضخم ليس من حقه ، وقد بنيت الخطط على أن يكون التعويض المذكور مقاطعة صينية تنتزع انتزاعاً لتضم إليهم ، وعند ما يتم إدماجها اقتصادياً واجتماعياً في نظامهم المرسوم تُعاود عملية الاستفزاز من جديد وهكذا دواليك .

وتحرشوا أول مرة في « مكدن » في سبتمبر سنة ١٩٣١ فضُمت منشوكو إليهم ... وتلمظت طوكيو هائثة بالذي ابتلعت ، وأدارت وجهها لانتقاء وجبتها التالية ، بينما مضت إدارتها الداخلية تنسق الولاية الجديدة ... ولم تعلق كبير اهتمام بذلك الشاب الصيني اليافع الذي علمته في مدارسها الحربية ، وأنعمت عليه بلباسها العسكري ، فجازاها بأن ألقاه في وجهها وفرّ منها متقلباً بين اليمين والشمال في حكومات الصين ، موحّداً لواءها مرة ومشعلاً الحرب بينها مرات ، ذلك الشاب الذي أضحى الآن رجلاً قوي الشكيمة شديد البأس على رأس جيش عرمرم ، ذلك الرجل الذي توصل أخيراً إلى توحيد مختلف حكومات الصين تحت تعاليم أستاذه العظيم « صون يات صن » ذلك الرجل الصارم العنيد ، شانج كاي تشك رجل الصين الأعظم ، ورمز عصرها الجديد .

تنبه القائد الصيني للخطر المحدق ببلاده فأعد خطته على أساس توسيع رقعة القتال بمجرد نشوبه مرة أخرى ، فيورط اليابان في حرب أرجاؤها فسيحة وسط قوم مناهضين لهم ساخطين عليهم . إستمعْ إليه قبل الحرب بثلاث سنوات وهو يخاطب ضباطه في « كولنج » : « تظن اليابان أن في إمكانها احتلال الصين دون كبير عناء ... وهي لا بد معاودة التحرش بنا قريباً ... واعلموا أنه لا يتحتم علينا مقابلة كل سلاح تأتي به اليابان بسلاح يماثله ... بل في وسعنا أن نجابه اختراعات العدو الجديدة بأسلحتنا التقليدية العريقة ، وهي مقدرتنا الفائقة على استخدام كل ما تراه العين أو تقع عليه اليد ، سواء أكان هذا جبالاً أم أنهاراً ، حجارة أم أغصاناً ... يجب علينا إيقاظ شعبنا من سباته حتى يهب خلف الغير إذا تقهقرت القوات أمامه ، ... إنّ تحديد وسائل المقاومة لا يهم ما دامت تحدونا عزيمة لا تهن وهمة لا تكلّ ... »

وفي هزيع ليلة حالكة من ليالي يوليو سنة ١٩٣٧ دوت في الفضاء عدة طلقات عند ممر « مركو بولو » بالقرب من بيبنج فكانت إيذاناً باللحمة الكبرى . وأطبقت اليابان على الصين الشمالية ... وكان « كاي تشك » كما أسلفت قد قرر أن يمد رقعة القتال ويستدرج العدو إلى جوف البلاد ، أو على حد تعبيره ، كان قد قرر أن يشترى الزمان بالمكان . ظنت اليابان أنها مقدمة على نصر سريع كذلك الذي واتاها منذ ست سنين في منشوكو . ظنت أن « كاي تشك » سيواجه جيوشها الميكانيكية الحديثة في سهول الصين الشمالية ، ولكنه لم يفعل ، بل أرسل خيرة جنوده إلى شنغهاي يهدد مصالحها هناك فاستدرج جنودها وراءه . وهزم القائد الصيني هناك وأخلى عاصمته نانكين ثم هزم في « سوتشاو » ، ثم هزم مرة ثالثة أمام عاصمته الجديدة « هنكاو » ، ولكنه في كل مرة كان ينزل بأعدائه أفدح الخسائر ويرتد عنهم قبيل إطباقهم عليه ، مغرياً إياهم باللحاق به والتوغل خلفه حتى أضحت جنود الحملة اليابانية منتشرة على مساحة شاسعة ، ولم تعد قادرة على تركيز مجهودها في مكان معين ، واضطرت حامياتها الموزعة على مختلف المدن الصينية المحتلة أن تحمي خطوط المواصلات حتى لا تفقد تماسكها ولكنها لم تجرأ على المخاطرة بنفسها في الأماكن غير المطروقة ، وهكذا أصبحت

لا تحتل من البلاد إلا شبكة خيوط مرسومة حول أرض وعرة مجهولة وبالهلاك موبوءة

توصل شانج كاى تشك إلى تنفيذ مأربه وأصبحت القوات اليابانية عاجزة عن إحراز نتيجة حاسمة ، وأضحت حكومتها لا تجرؤ على التراجع بعد أن بهظت تكاليف مغامرتها ، وظلت إدارتها الداخلية قاصرة على تنظيم موارد أراض لم يستتب الأمن فيها بعد

وفى الوقت نفسه كان القائد الصينى يجمع الجنود وينظم الصفوف ويستورد المهام من روسيا عبر « سنكيانج » ، ومن بريطانيا وأمريكا عبر بورما أو عن طريق بعض الموانى التى حمتها امتيازات الدول الغربية

ووقفت اليابان تراقب ذلك الجرح الذى لا يندمل بقلب كمد وعقل مبلبل حائر . . . ثم قبض جنرالها « سوجياما » على مقاليد الجيش وأصبح رئيساً لهيئة أركان الحرب العامة ، و « سوجياما » هذا جندى نشط جسور ، يواصل العمل ليل نهار تحدوه إرادة لا تكل ، وكراهية ملتهبة لكل ما هو أجنبى ، وكان عليه أول الأمر عزل الصين عن كل مساعدة خارجية وتأمين مؤخرة اليابان أمداً من الزمان حتى يتم لها القضاء على مقاومة شانج كاى تشك ... وربض « سوجياما » يرقب اللحظة المناسبة حتى واتته فانقض ... فكانت « بيرل هربور » وتبعتها هنج كنج والفلبين وبورنيو والملايو وبورما وسومطرة وجاوة وجزر سليمان ...

يظن الكثيرون أن تلك كانت مقدمات لانقضاض اليابان على استراليا أو استعداداً منها لاجتياح الهند ؛ وإنى لا أنكر أنها قد تتحول إلى ذلك مستقبلاً ، ولكنها لم تكن فى ذلك الحين إلا سياجا عظيما أقامته اليابان حول الصين وبحار الصين ، وإن كانت لم تتعرض لطريق روسيا التى انشغلت عن مساعدة شانج كاى تشك بحربها الشعواء مع ألمانيا النازية ، وعدا ذلك فقد خشيت طوكيو استفزاز الجنرال الروسى اشترن الذى وقف على أتم استعداد يراقب بعين يقظة جيش إتاجاكى المرابط فى منشوكو ...

كل شىء هادىء فى الميدان الشرقى ! . . . هكذا يقرر الكثيرون لأن الصحف لم تعد تقدم لهم عنه ما تعودوه من عناوين ضخمة ، وهم فى ذلك مخطئون ... فقد ألقت اليابان فى أتون المعركة بفرق أخرى جديدة ، وأطبقوا على « شنسى » فى الشمال ، واحتلوا « شكيانج » و « كيانجى » فى الجنوب الشرقى فأصبح لهم خط حديدى تام يصل شنغهاى بسنغافورة عبر الهند الصينية وسيام ، وها هم يقاتلون الآن فى مقاطعة يُنان حيث ألقى شانج كاى تشك بجنده المختارة على أمل إعادة فتح طريق بورما المشهور ، بينما سارع وكيل هيئة أركان حربه الجنرال المسلم « باى تسونج هسى » إلى الشمال للدفاع عن « شنسى » ...

كل شىء هادىء فى الميدان الشرقى ! . . . نعم إلا إذا استثنينا ذلك الصراع الهائل الذى يخوضه ربع سكان العالم ، أربعمائة مليون شخص ، فى سبيل حريتهم .

كل شىء هادىء ... ولا جديد هناك ! نعم لا جديد سوى أن زهرة الجيش اليابانى قد عُقلت وأصبحت عاجزة عن الإقدام على مغامرة جديدة ! لا جديد سوى بضع معارك طاحنة فى ينان وشنسى وتشكيانج وكيانجسى ! لا جديد سوى أن تلك المعارك يتوقف عليها مصير العالم الشرقى بأجمعه !

حسين ذو الفقار صبرى

صدر اليوم

سليمان الحكيم

الملك النبى

بقلم

توفيق الحكيم

وثمنه ٢٥ قرشا صاغا ويطلب من ملتزمة نشره مكتبة الآداب بالجماميز بمصر ت ٤٢٧٧٧ وسائر المكتبات الشهيرة بمصر والخارج

فائمة الكتب ترسل لمن يطلبها مجانا